حكايات السبت

محمد السيد صالح

يكتب:

لابد من تسهيل حياة المراجعين ماديا واجتماعيا بعد خروجهم من السجون. لابد أيضا من مراعاة الظروف الإنسانية للمسجونين والمحبوسين الجنائيين والسياسيين. مصر أكبر بكثير من تقارير المنظمات والدول والفضائيات التى لا تريد لنا تقدمًا.

«الفقى وعكاشة» و«سواسية الموت» وشهداء الأسفلت

الفقى وعكاشة

أحرص على حضور محاضرة واحتفالية الدكتور أحمد عكاشة السنوية. هو مفكر عظيم بقدر ما هو مؤسس الطب النفسى الحديث فى مصر. لديه كثير من الأسرار والحكايات المهمة سواء فى مجال الطب النفسى أو السياسة، ليته يكشف عنها قريبا!.

فى هذا المنتدى السنوى يحرص عكاشة على تكريم عدد من شباب الباحثين فى الطب النفسى،حيث يقوم هو بنفسه بتقديم أبحاثهم ومنحهم شهادات تقدير ومكافآت مالية فى حضور رموز الطب والسياسة فى مصر.

الخميس الماضى، كانت الاحتفالية بنكهة خاصة، حيث كانت المحاضرة فى اليوبيل الفضى لهذا التقليد السنوى الرائع الذى بدأ قبل خمسة وعشرين عاما مع بلوغ الدكتور عكاشة سن الستين. ألقى المحاضرة المفكر الدكتور مصطفى الفقى، وكانت بعنوان «الدين والإرهاب.. رؤية سلوكية».. قبيل المحاضرة، قال الدكتور طارق عكاشة، رئيس تحرير مجلة «الشرق الأوسط للطب النفسى المعاصر» والتى تنظم الاحتفالية، إن محاضرة الفقى تأخرت عامين حيث كان مقررا لها فى ٢٠١٧، لكن تصادف موعدها مع إعلان مجلس أمناء مكتبة الإسكندرية من الشخصيات الدولية البارزة، للفقى ليتولى منصب مدير المكتبة لخلافة الدكتور إسماعيل سراج الدين.

قبيل المحاضرة أيضا، تحدثت مع الفقى سريعا عن مقاله الأخير فى «المصرى اليوم» عن زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية الأسبق، مؤسس جهاز المخابرات العامة الذى مات بأسراره، حيث لم يكتب مذكرات ولم يُدلِ بحوارات مطولة عن مسيرته الغنية مع الثورة.

قلت للدكتور الفقى فى معرض تعليقى على ما كتبه من أن محيى الدين قال له إنه أدرك جيدا تراتبية العلاقة والسلطة بينه وبين عبدالناصر من حوار معه قبيل قيام ثورة يوليو فى منزل أحد الضباط الأحرار، وأنه عاش يحترم هذه المسافة، قلت له: معلوماتى أنهم كانوا يجتمعون بمنزل عائلة ثروت عكاشة، عضو الضباط الأحرار، بالعباسية، وأحيانا بمقر جريدة المصرى فى شارع القصر العينى، حيث تحمس آل أبوالفتح للثوار قبل أن تسوء العلاقة معهم وتحدث القطيعة الأبدية.

أما عن المحاضرة الثرية، فكانت مفيدة جدا، وتفاعل معها الحضور بالتعليق والإضافة. وليس عندى إضافة سوى أن مفكرينا وخبراءنا باتوا بعيدين عن التفاعلات الحديثة على ساحة الإسلام السياسى والشبكات الجديدة التى ظهرت على الساحة. بتنا كسالى تماما مستسلمين فى سكون ورضا للحلول الأمنية. نضع الجميع فى سلة واحدة.. أين مراكزنا البحثية التى كانت تقدم رؤيتها وتحليلها للأفكار المطرفة وتباينها المرجعى واختلاف خطابها مع الرأى العام ومع كوادرها. كانت هذه الأفكار مهمة للاختراق والاستتابة والمراجعة. لقد عشت أجواء المراجعات المهمة التى انطلقت من السجون نهاية الألفية الثانية، وتابعت مع غيرى من الإعلاميين والمتابعين كيف أدارها ضباط مثقفون ودارسون من «أمن الدولة» بمشاركة قيادات للجماعات الإسلامية داخل السجون، وكيف ربح الجميع. استفاد المجتمع بتهدئة مهمة دامت عقدين تقريبا، واستفادت الكوادر الإسلامية التى نبذت العنف بخروجها للحياة العامة.

إن سجوننا متخمة الآن بآلاف الإسلاميين، وليسوا كلهم سواء. لقد تأخرت عمليات الفرز كثيرا، وآن الأوان لعملية فكرية سياسية واسعة. إن الاستسهال بالحلول الأمنية فقط فيه خطر كبير، هكذا قال الفقى، تقريبا، فى معرض محاضرته. لابد من تسهيل حياة المراجعين ماديا واجتماعيا بعد خروجهم من السجون. لابد أيضا من مراعاة الظروف الإنسانية للمسجونين والمحبوسين الجنائيين والسياسيين. مصر أكبر بكثير من تقارير المنظمات والدول والفضائيات التى لا تريد لنا تقدمًا.

لقد اهتمت عواصم غربية وعربية بدراسات التطرف. أعدت خطط عمل للمواجهة الفكرية والأمنية، تراعى الحقوق الأساسية للإنسان، وقادرة على الردع فى نفس الوقت.

عودوا للخبراء الدارسين فكر الجماعات الإسلامية. إلى المراجعين الصادقين من القيادات الإسلامية السابقة. استفيدوا من علمهم. ادعموا المراكز المتخصصة داخل وخارج الجامعات. معظم الفاهمين فى هذا الملف لا ينشرون أفكارهم إلا على وسائل التواصل الاجتماعى. المتطرفون ليسوا كتلة واحدة.

سواسية الموت

اقترنت حالات الوفاة للقادة السابقين الذين وعيت لهم، برحيل بسطاء عاشوا فى نفس الحى الذى تسكنه عائلتى فى قريتنا. أناس عاديون جدا ولكن بسيرة عطرة لدى الجميع. الدرس الذى تعلمته مبكرا، أننا كلنا سنلقى وجه الله بلا مال أو سلطان، مجردين من كل شىء إلا أعمالنا الصالحة أو الفاسدة.

بدأ ذلك مع وفاة الزعيم الأسبق جمال عبدالناصر، والذى توفى وأنا فى الخامسة من عمرى. ورغم سنى الصغيرة فإننى ما زالت أذكر الجنازة الرمزية التى شارك فيها طلبة المدارس على الطريق الرئيسى، وإقامة سرادق عزاء أمام منزلنا. قبل وفاة الزعيم بساعات معدودة، رحل جارنا الطيب والفقير الشيخ إبراهيم.

أما السادات، وبينما كانت عيوننا مشدودة إلى البث المباشر المرتبك للعرض العسكرى ظهر ٦ أكتوبر ١٩٨١ بعد طلقات الغدر التى استهدفته، كانت أصوات الصراخ والعويل تخرج من البيت الملاصق لبيتنا معلنة بذلك وفاة السيدة البسيطة أم حامد وهبة.

صباح الاثنين الماضى، توحدت صفحات الأصدقاء من قريتى وكذلك الصفحة التى تجمعنا على سرد مآثر الشيخ عبده الشرقاوى، والذى توفى قبل الرئيس الأسبق محمد مرسى ببضع ساعات فقط.

جميعنا يحسب عبده من أولياء الله الصالحين. كان بعقل بسيط وجميل «داون». بركة فى كل البيوت. تجده فى الأفراح والمآتم. مشاهير الشيوخ والمداحين والفنانين الذين يأتون للقرية يعرفونه ويطلبون وجوده إلى جوارهم، يذهبون لزيارته إن كان مريضا. عبده حاضر فى معظم صور حفل زفافى الذى تم قبل عشرين عاما. جلس على المسرح إلى جوارنا من بداية الحفل وحتى نهايته.

لم أعلم بمرضه. لم يهتم كثيرون فى الداخل أو فى الخارج به. لم يشمت أحد فى وفاته. لم يشكك أحد فى ملابسات رحيله. ولم يصل عليه أحد خارج مسجدنا الذى امتلأ بمودعيه.

إننى أحسده على نقاء صفحته وسريرته، وأدعو الله حسن الخاتمة مثله. وباستفتاء قلبى، أزعم أنه الآن فى مكانة أعلى من كل الزعماء والرؤساء والمشاهير.

رحم الله جميع موتانا.

شهداء الأسفلت

لاحظت أن مواقع دولية وعربية، باتت تضع معلومات خلفية شبه ثابتة فى تغطيتها لحوادث الطرق الكبرى التى وقعت عندنا مؤخرا. «وفقا لبيانات منظمة الصحة العالمية، فإن مصر تعد واحدة من أسوأ دول العالم من حيث ارتفاع معدلات حوادث الطرق التى تؤدى إلى الوفاة». للأسف كلامهم صحيح ودقيق جدا.لدينا أرقام رسمية محلية لا تكذب هذه المعلومات، بل تؤكدها وتذهب إلى ما هو أسوأ.

كنت أدقق فى القصص الإنسانية التى خلفها حادث التصادم الذى أودى بحياة عشرة من عاملات الزراعة البسيطات على الطريق الدولى بالبحيرة، قبل أسبوعين صدمنى بعدها بساعات معدودة حادث الأوتستراد الذى قطف أرواح أربعة عشر شخصا، مع ٤٠ مصابا فى الحادثين. قلبت فى أرقام حديثة جدا وصلتنى من «التعبئة والإحصاء» هذا الأسبوع حول خسائر مصر من حوادث الطرق. الأرقام التى وزعوها تتعلق بعام ٢٠١٧.

ووفقا لهذه الأرقام، فإن ضحايا الحوادث بلغ ٣٧٤٧ قتيلا، وأن التكلفة المقدرة لهذه الحوادث فى هذا العام، بلغت ٢٨,٩ مليار جنيه.

أعداد ضحايا الطرق فى عامين تقريبا، وفقا لهذه المعدلات، تقترب من عدد شهداء مصر فى حرب أكتوبر!.

أرقام الضحايا مخيفة جدا بل مفزعة. ما أكثر الأقارب والأصدقاء والمعارف الذين خطفهم الموت غدرا فى حوادث طرق، عنوانها الرئيسى، الاستهتار واللامبالاة من سائقين هنا وهناك. لدينا قانون مرور متكامل لا تنفذ مواده تقريبا. اختفت لجان فحص المخدرات على الطرق السريعة. من رآها منكم مؤخرا فليبلغنى. لم أعد أتابعها إلا فى بيانات وزارتى التضامن والصحة.

الحلول كثيرة ومتاحة، لكن وزارة الداخلية لا تنصت لأحد، ولا تشغلها هذه الأرقام والحوادث.هى مهمومة فقط بالأمن السياسى ومقاومة الإرهاب والتطرف،رغم أن جماهيرية أى وزير لا تتبع إلا من خلال رضاء الرأى العام عنه وبنجاحه فى ضبط الشارع،. ولنا ولجميع الوزراء، وخاصة الداخلية، فى أحمد رشدى قدوة حسنة.